



أحكام الأسير في الإسلام

10 برنامج التنوير

الحلقة الثالثة

2021-04-03

إن المعركة بين الحق والباطل حتمية لا مفرّ منها، والمسلمون يعيشون ضمن هذا العالم، فهم محاربون كما كانوا في عصور نهضتهم أو محاربون كما هو الحال اليوم. والفرق بين الواقعيين أن المسلمين يوم كانوا يحاربون كانوا يقاتلون لإعلاء كلمة الله والحق والعدل ولنصرة المستضعفين الذين يسامون سوء العذاب وحين تكتب لهم الغلبة لم يكونوا يحدون عن المبدأ الذي خرجوا من أجله، أما وقد أصبحوا محاربين فقد حُرّم العالم خيراً كثيراً. ما أريد قوله: لا يوجد عالم وردي بلا حروب إلا عند الحالمين، والتاريخ والواقع شاهدان فلا بد من وضع أحكام للحرب كما أن هناك أحكاماً للسلام. ووجود الأسرى من الطرفين نتيجة حتمية للمعركة، ولقد وضع الإسلام قواعده للتعامل مع الأسرى.

خياران للتعامل مع الأسير:

إن أمام ولي الأمر خيارين في التعامل مع الأسير، وقد جاء النصّ القرآني صريحاً بهما، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحَمْتَهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فَإِنَّمَا مَتَّىٰ تَعَدُّ وَإِنَّمَا فَدَاءٌ حَتَّىٰ تَصَعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)

(سورة محمد)

وانطلاقاً من هذه الآية فإن الخيارين في التعامل مع الأسير هما:

- 1- المَنْ: بإطلاق سراحهم تحيياً لهم بالإسلام.
- 2- الفداء: وذلك عن طريق مبادلة الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، أو عن طريق اقتداء ذوي الأسرى أسراهم بالمال أو بغير ذلك مما يتم الاتفاق عليه.

الحكم الشرعي للأسير:

وقد يسأل سائل: هل يقتل الأسير في الإسلام؟

والجواب: إن الحكم الشرعي للأسير وفق الآية كما مر معنا هو المنع عليه وإطلاق سراحه دون مقابل، أو الفداء بالمال أو بأسري المسلمين، وأما قتل الأسير فليس مشروعاً في الأصل إلا أن يكون للقتل سبب غير الأسر، كأن يكون الأسير قاتلاً يستحق القصاص، أو مجرم حرب كما في المصطلح الحديث، أو يقرر الحاكم ذلك من باب المعاملة بالمثل.

أما قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)

(سورة الأنفال)

فقد نزل بعد معركة بدر وفي هذه الآية يبين المولى جل جلاله أن الفداء لا يكون إلا بعد الإختان أي بعد أن تكون الرفعة والقوة للمسلمين وبهاهم أعداؤهم ويحسبون لهم ألف حساب، أما أن يكون هناك أسرى يفادون بالمال قبل تحقيق النصر فهذا لا يصح.

ولسائل أن يسأل: هل يسترقّ الأسير أي يجعل رقيقاً عبداً، والجواب: يمكن أن يحصل ذلك من مبدأ المعاملة بالمثل ولكنه استثناء يقرره الحاكم وليس أصلاً، فلقد كان الاسترقاق شائعاً في تلك العصور ولا يعقل أن يامن الأعداء على أسراهم من الاسترقاق ولا يامن المسلمون على أسراهم، من هنا كان لولي الأمر أن يقرر استرقاق بعض الأسرى من باب المعاملة بالمثل، أما الأصل فهو مبادلة الأسرى إن كان للمسلمين أسرى عند أعدائهم.

الإحسان للأسير:

وبغض النظر عن الخيارات السابقة فإن الإسلام يقرر معاملة الأسير بالإحسان بشقيه المادي والمعنوي ففي الإحسان المادي يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8)

(سورة الإنسان)

وفي التربية النفسية يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُحِذِّ بِكُمْ وَيَعْفُو عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (70)

(سورة الأنفال)

فالمجتمع المسلم يستثمر وجود الأسرى عنده لتلمس مكامن الخير والصلاح في نفوسهم لينبني عليها فيتحقق مفهوم الرحمة التي أرسل بها محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين، وكان الأسير خلال أسره يكون في مركز للتأهيل والإصلاح الإيماني.

قصة تجسّد طريقة التعامل مع الأسرى في الإسلام:

وهذه قصة تامة بن أنال تمثّل خير تمثيل طريقة التعامل مع الأسرى خلال مدة أسره.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ تَجِدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَبِيقَةَ يُقَالُ لَهُ: نُصَامَةُ بْنُ أَنَالٍ، سَبَدَ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَتَرَطَّوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا نُصَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقُولُ تَقُولُ دَا دَم، وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعِدِّ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا نُصَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنْ الْعِدِّ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا نُصَامَةُ؟» قَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ تَقُولُ تَقُولُ دَا دَم، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطْلُفُوا نُصَامَةَ»، فَاطْلُقَ إِلَى تَحْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَغْتَسَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهًا أَنْبَعَصَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَنْبَعَصَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَاصْبِرْ دِينَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَنْبَعَصَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَاصْبِرْ بَلَدَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، وَإِنْ خَلَّكَ أَحَدٌ مِنِّي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ.

والحمد لله رب العالمين.